

# التعليم الذي يوفر الحماية

سوزان نيكولاي

يجب أن يتوفر التعليم لكل الأطفال، ويجب أن يستجيب للمخاطر التي يواجهونها.

سيما الأطفال المنفصلين عن أسرهم، والأطفال المسرحين من الخدمة العسكرية، والأطفال الذين تعرضوا للعنف الأسري.

- وقف دائرة العنف من خلال إدخال أسلوب تدريس محبب للأطفال، ومواد تعليمية تشجع على السلام، واستخدام أساليب إيجابية للانضباط.
- إشراك المعلمين في تقديم المعلومات المتعلقة بالحماية إلى الأطفال وأسرهم، وإعدادهم بشكل أفضل لرصد موضوعات الحماية، والاستجابة، كلما كان ذلك ملائماً للحالات الفردية.
- تحفيز الأطفال على القيام بأنشطة لحماية أنفسهم ومجتمعاتهم.

## ربط التعليم بأهداف الحماية

في جمهورية الكونغو الديمقراطية، اقتضت المناقشات حول تعليم "الأطفال المرتبطين بالقوات المحاربة"، بشكل أساسي، على بحث ما إذا كان يتعين على الوكالات أن تدفع تكاليف تعليم هؤلاء الأطفال أم لا. ولم تتناول المناقشات الأساليب التي تستهدف التغلب على المعوقات غير الاقتصادية لإعادة اندماج الأطفال في المدارس، أو بحث طرق إمكانية تعديل نظم التعليم الأساسي بحيث تدعم عمليات إعادة الاندماج. وتجدر الإشارة إلى أن الجماعات المتحاربة في الكونغو دمرت المدارس أو استخدمتها ككتكات لإيواء الجنود. وعلاوة على ذلك، لا يصل تمويل الدولة للتعليم إلى الأقاليم الشرقية التي تشهد صراعات، الأمر الذي جعل الآباء والمجتمعات يختارون الأطفال الذين يتعين إرسالهم إلى المدرسة. ومن ثم، يتعرض الشباب المستضعفون، ولا سيما الفتيات والأيتام والمحاربين القدامى، لخطر استبعادهم من التعليم. وفي العام الماضي، سعت منظمة "إنقاذ الطفولة" من خلال شبكتها المعنية بحماية أطفال المجتمع في ماسيسي، بشمال كوفو، إلى تحديد واكتشاف معوقات التعليم التي تواجه "الأطفال المرتبطين بالقوات المحاربة" وغيرهم من الأطفال المستضعفين. وتم استخدام النتائج للعمل مع مجالس الآباء لتحديد الطرق اللازمة لتعزيز دعم هؤلاء الأطفال الذين لا يستطيعون دفع مصروفات تعليمهم. وتقوم أيضا منظمة "إنقاذ الطفولة" بتدريب المعلمين حتى يكونوا أكثر وعيا باهتمامات حماية الأطفال واكتشاف الطرق الكفيلة بزيادة الفرص غير الرسمية للتعليم.

وبالإضافة إلى ذلك، كان لانتفاضة الأقصى في سبتمبر عام ٢٠٠٠ في الأراضي الفلسطينية المحتلة أثر كبير على حق الأطفال في التعليم

حالات الطوارئ بصفته موضوعا إنسانيا يكتسب شرعية بشكل متزايد، مازال هناك من ينظر إلى التعليم على أنه مهمة من الأفضل تركها لأولئك المهتمين بالتنمية. وكثيرا ما ينظر العاملون في مجال الطوارئ إلى التعليم على أنه رفاهية ويعتبرون الأدلة على ما حققه ما هي إلا قصص وحكايات. وخلال السنوات القليلة الماضية، تحقق تقدم كبير في وضع نماذج لمبادرات التعليم التي تركز على توفير فرص التعليم وتحسين جودته. ومع ذلك، لم تُبذل سوى منذ عهد قريب جهود لتمكين التعليم من دعم الأهداف الخاصة بحماية الطفل بشكل ملموس.

■ وفي إطار عملنا في حالات الطوارئ، أوضحت "منظمة إنقاذ الطفولة" Save the Children الروابط العملية بين التعليم والحماية في العديد من الدول التي شهدت صراعات. وقد أوضحت تلك التجارب أن الآباء يشعرون بالاطمئنان بشكل أكبر عندما يذهب أطفالهم إلى المدرسة. فالتعليم يقلل من فرصة تشغيل الأطفال أو استغلالهم أو تعرضهم لمخاطر أخرى. ومن الناحية العملية، يمكن أن تلعب نظم التعليم دورا أكثر في حماية حياة الأطفال من خلال ما يلي:

- زيادة وعي المجتمعات وقدرتها على التعامل بطريقة منظمة مع التهديدات التي تواجه الأطفال من خلال العمل مع مجالس الآباء أو لجان الإدارة المدرسية لمعالجة تلك الموضوعات.
- تعزيز الحصول على التعليم وفرص تنمية الطفل فيما يتعلق بالأطفال المستضعفين، ولا

تتجمع مجموعة من الفتيات وهن يمسكن بكتب التمارين في أيديهن، في الممر المضاء بمصباح بين الخيام، ويحاولن استخدام اللغة الإنجليزية التي تعلمنها في المدرسة مرردين الجملة التالية: "مشيت الليلة خمسة كيلومترات"؛ "نحضر للمدرسة في الصباح"؛ "أفضل النوم في المنزل، ولكنني أخشى من الجنود". وهؤلاء الفتيات ضمن خمسين ألفا من الأطفال والفتيات في شمال أوغندا يسافرون كل ليلة إلى المراكز العمرانية خشية التعرض للاختطاف على أيدي قوات "جيش الرب للمقاومة". والليل، تستعد هذه المجموعة من الفتيات لامتحانات. ومن المدهش رغم مخاطر الانتقال بين المنزل والمدرسة والمراكز التي يترددن عليها ذهابا وإيابا، وضيق الوقت للمذاكرة، والعيش تحت وطأة الفقر، أن تلك الفتيات مازالن يجاهدن للحصول على التعليم.

ومن المؤسف، أن العديد من أقرانهم لا تتاح لهم تلك الفرصة. ويشير "تقرير منظمة اليونسكو بشأن المراقبة العالمية لبرنامج التعليم للجميع" عن الفترة ٢٠٠٣-٢٠٠٤ إلى أن نصف الأطفال الذين فاتهم التعليم في العالم، والذين يقدر عددهم بنحو ١٠٤ مليون طفل، لا يذهبون إلى المدرسة في الدول التي شهدت صراعات أو التي تحاول التعافي منها.

وتجدر الإشارة إلى أن موضوع "التعليم في حالات الطوارئ" لم يدرج على أجندة الشؤون الإنسانية سوى في العقد الماضي، عندما أثارته لأول مرة سيدة موزمبيق الأولى السابقة، جراسا ميشيل، بوصفه موضوعا ملحا. ورغم أن وضع التعليم في



- ينبغي أن تكون حماية الأطفال جزء لا يتجزأ من الأنشطة التعليمية في حالات الطوارئ، وأن تكون معياراً أساسياً عند الموافقة على برنامج أعده جهاز العاملين بالمنظمات غير الحكومية والحكومات المضيفة والجهات المانحة.
- ينبغي أن تنعكس موضوعات الحماية في سياسات التعليم الوطنية واستراتيجيات الاستجابة لحالات الطوارئ، وكذلك يجب تنقيح المناهج الدراسية التي ترسخ الانقسامات وتشعل نار الصراعات.
- يجب اعتبار المدارس والمنشآت التعليمية "مناطق آمنة"، وتحذير المتحاربين من أن النظام الأساسي لاتفاقية روما يُجيز للمحكمة الجنائية الدولية محاكمة الذين يستهدفون المدارس والمنشآت التعليمية بوصفهم مجرمي حرب.
- يجب تخصيص مساحات محيية للأطفال المتضررين من الصراعات؛ ويجب أن تشمل عملية الإعمار على توفير مساحات تكفي لأن يلعب الأطفال في أمان.
- يمكن أن يكون وضع قواعد سلوك للمعلمين بمثابة آلية تضمن ألا يُسيء المعلمون معاملة الأطفال وألا يستخدموا العقاب الجسدي.

تشغل سوزان نيكولاوي وظيفة مدير التعليم بمنظمة "أنقذوا الأطفال"، بالمملكة المتحدة، في "فريق الاستجابة لحالات الطوارئ"، بريد إلكتروني:

s.nicolai@savethechildren.org.uk  
وشكر خاص لكارل تريبلورن، وكلاوس نيلسون، وكاتي بارنيت على إسهاماتهم في هذا المقال.

الموضوعات التي تمت مناقشتها في هذا المقال قد تم بحثها بتوسع في "ورقة شبكة الممارسات الإنسانية" والتي تحمل عنوان "دور التعليم في حماية الأطفال في فترة الصراعات"، ويمكن الاطلاع عليها في موقع: [www.odihpn.org/pdfbin/networkpaper042.pdf](http://www.odihpn.org/pdfbin/networkpaper042.pdf)

إعداد سوزان نيكولاوي وكارل تريبلورن من منظمة "أنقذوا الأطفال" بالولايات المتحدة، البريد الإلكتروني: [Ctriplehorn@dc.savechildren.org](mailto:Ctriplehorn@dc.savechildren.org)

١ جراسا ماكيل، دراسة للأمم المتحدة حول أثر الصراع المسلح على الأطفال، إدارة الإعلام، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٦. الموقع على الإنترنت: [www.unicef.org/graca/graright.htm](http://www.unicef.org/graca/graright.htm)  
٢ انظر: العيش في ظل المعوقات: الأطفال الفلسطينيون يتحدثون بحرية. على موقع:

[www.savethechildren.org.uk/temp/scuk/CHR.pdf\\_١٣٨٣/cache/cmsattach](http://www.savethechildren.org.uk/temp/scuk/CHR.pdf_١٣٨٣/cache/cmsattach)

التعليمية؟

### دور الأطفال:

ما الدور الذي يلعبه الأطفال في حماية أنفسهم وفي تحديد وإثارة الموضوعات المحلية المتعلقة بالحماية؟ وما الأنظمة المعمول بها والتي تكفل لهم التبليغ عن الانتهاكات؟

### دور المجتمع:

هل هناك أساليب يستطيع المجتمع المحلي من خلالها تعزيز دور التعليم في حماية الأطفال بالمجتمع؟ وما الوسيلة الحالية لمشاركة المجتمع في المدارس، وهل تُتاح تلك الوسيلة لأولئك الذين من المرجح بشكل كبير أن تتعرض حقوقهم للانتهاك؟

### تدبير الموارد:

كيف يمكن للمدارس أو البيئات التعليمية غير الرسمية أن تكون أكثر أماناً من الناحية الفعلية للأطفال؟ وما الطرق التي يمكن من خلالها للجهة الوطنية المختصة بالتعليم أن تتحمل مسؤولية حماية حقوق الأطفال ورفاهيتهم؟ وما أثر الموارد البشرية أو المالية في تحسين دور التعليم في حماية الأطفال؟ وما مستوى الدعم الذي يوفره التعليم ضمن برامج المساعدات الإنسانية أو الإعمار، وهل هذا الدعم كافياً؟

### الدروس المستفادة

رغم أن الوقت مازال مبكراً لاستخلاص الدروس المستفادة المدعومة بالحقائق، ظهر موقف مشترك، وهو أن كل مشروع ركز، بأسلوبه الخاص، على المشاركة بوصفها آلية لتحسين الحماية العملية للأطفال على أرض الواقع. وسواء كان التركيز على مشاركة الأطفال أو الآباء أو المدرسين، فإن مشاركة وقيادة تلك المجموعات المختلفة يُنظر إليهما بوصفهما حلقة الوصل المفقودة لجعل "اتفاقية حقوق الطفل" أكثر من مجرد حبر على الورق.

وتعتبر نظم التعليم من بين آليات المجتمع التي تسعى جاهدة، حتى وإن لم تنجح دائماً، للوصول إلى جميع الأطفال. ومثل الفتيات في أوغندا، سيقدم الأطفال تصريحات استثنائية للحصول على التعليم. ومن ثم، يُقصد بحماية الأطفال وحقوقهم التأكد من أن فرص التعليم متاحة، وكذلك التأكد، بنفس القدر من الأهمية، من أن التعليم يستجيب للمخاطر التي يواجهها الأطفال في حياتهم اليومية.

ويتعين أن يدرك كل هؤلاء الذين يقومون بوضع البرامج المعنية بحالات الطوارئ وفترة ما بعد الصراعات ما يلي:

الجيد والحماية. فقد تسبب التوغل العسكري والقيود على التحرك بشكل متكرر في منع الأطفال والمعلمين من الوصول إلى المدارس. وحتى عندما يتمكن هؤلاء الأطفال من الوصول إلى المدرسة، فإنهم يواجهون بيئة تعليمية صعبة. إذ أثرت الاضطرابات والعنف والفوضى داخل المدارس على العلاقات في المدرسة، وعلى درجة التركيز، وعلى فرص اللعب.

وفي عام ٢٠٠٣، نفذت منظمة "التحالف الدولي لإنقاذ الطفولة" مشروعاً بحثياً يقوم على المشاركة لبحث الموضوعات التي تتعلق بحق الأطفال في التعليم والحماية. وتوصل البحث إلى أنه رغم أن الأطفال ينظرون إلى المدرسة على أنها من الأماكن التي قد يشعرون فيها بالأمان بعيداً عن الأعمال العسكرية، هناك حالة متزايدة من العنف داخل المدارس بسبب العقاب الجسدي والعنف بين الأطفال. وتم تقديم نتائج هذا البحث إلى لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في مارس عام ٢٠٠٤. واستناداً إلى هذا البحث، تعمل منظمة "التحالف الدولي لإنقاذ الطفولة" مع شركائها، وهم وزارة التربية والتعليم العالي والمنظمات غير الحكومية المحلية (مؤسسة تامر)، لدعم مشاركة الأطفال في تحديد مخاطر الحماية المحلية والتصرف إزاء تلك المخاطر. كما تم إنشاء لجان للأطفال في العديد من المدارس لتنفيذ أنشطة حمايتهم. وتتناول المبادرات أموراً متعددة بدءاً بتعزيز الحماية البدنية عن طريق بناء سور حول المدرسة لخلق بيئة مدرسية خالية من العنف وانتهاءً بتشجيع زملاء الفصل لدعم أقرانهم.

ورغم أننا نعرف الكثير عن الروابط بين التعليم وحماية الأطفال، يحتاج المعنيون بتخطيط التعليم في الدول المتأثرة بالصراعات إلى طرح عدد من الأسئلة:

### حقوق الأطفال:

ما المخاطر التي يواجهها الأطفال فيما يتعلق بحقوقهم ورفاهيتهم، وكيف تفاقمت تلك المخاطر بسبب حالات الطوارئ؟

### تحليل النظم:

ما عناصر الحماية التي يوفرها التعليم وعناصر الخطر التي يفرزها؟ هل يوفر التعليم الحماية بالنسبة لبعض المجموعات أكثر من غيرها؟ ما التغيرات الضرورية التي يتعين إحداثها داخل الفصول الدراسية والمدارس وفيما بين المعلمين أو فيما بين مشرفي المدارس لجعل التعليم مفيداً بالنسبة للفتيات، والأقليات وغيرهم من المجموعات المهمشة؟ هل ساهمت المناهج الدراسية الوطنية السابقة أو أساليب التدريس في الصراعات؟ ما نوع الدعم النفسي المتاح في البيئة